لم أصب بمثلك قط

في رثاء الشيخ تميم العدناني

بقلم الشيخ عبد الله عزام

الحمد لله وحـده والصـلاة والسـلام علـى مـن لا نـبي بعـد، وبعد:

وهكذا نزل الخبر كالصـاعقة علـى قلـبي، فـي صـدى، فـي غرفتي وبين الكتب وأنا مستغرق فـي المطالعـة بيـن كتـب الحديث والفقه أغوص على أعماق بحور العلم فـي الجهـاد ألتقط الدرر. دخل أبو عبادة الغرفة وجلـس أمـامي وأجمـا ثم تلا: { كل نفس ذائقة الموت }. ثم قـال: تـوفي الشـيخ تميم على إثر نوبة قلبية في أمريكـا، وهكـذا وفجـأة سـكت صوت الحق الناطق باسم الجهاد، ومضى إلى الله.

أحقا قـد قضـى ذاك الليـث الـذي تعرفـه المأسـدة بعـد أن عاش بين الرصاص والمدافع وتحـت وابـل الرصـاص، اربـع ساعات متواصلة بين فكي الموت في الثلاثين من رمضـان سنة 1407ه طلبا للشهادة وتفوتك هناك بعـد أن تحطمـت أغصان الشجرة التي تتفيأ ظلالها.

عم نحدث؟ وقد أخرس هول النبأ الألسنة.

<u>لن تموت:</u>

وكيف تموت وذكرياتك تملأ حياتنا فتهزنا مـن أعماقنـا؟! إن صـوتك الـذي يـدوي فـي الأشـرطة المسـموعة والمرئيـة ليكفي أن يزلزل دنيا أعداء الله، وتتهز له أوتـار قلـوب جنـد الله، لن يمـوت مـن أبقـى لـه فـي الـدنيا مواقـف تتصـاغر أمامها العظماء والدعاة والعلماء.

لن يموت من طوف الدنيا وهـو يحمـل بيـن طيـاته أشـرف قضية تحرق قلبه وتؤجج صدره نارا فيبثها مـن خلال خطـب

نارية وكلمات ساخنة ملتهبة تنبثق من القلب فتصل إلى القلوب باذن علام الغيوب.

لم تكن أديبا ذا بيان ساحر ولكن لكلماتك سحر يأسر القلوب، لم تكن عالما ذا فقه واسع ولكن الله علمك ماينفعك وماينتفع به الناس من خلالك وماتركته من آثار في جيل الصحوة قد عجزت عنه جماهير العلماء.

لم تكن الفارس الذي يمتطي الجياد في الميدان ولكن الفرسان يقفون أمام جرأتك أقزاما.

يحدث الشيخ سياف عن الشيخ تميم قائلا: (لقد رافقني الشيخ تميم نحو كابل وكنا مع الاستاذ رباني وعندما وصلنا " أزره " بدأنا صعود جبل شاهق ولكن الشيخ تميم بثقله لايستطيع الإرتقاء إلى ذروته ولكنه أصر على الصعود فأتيناه بحصان وركبه الشيخ تميم ووزن الشيخ تميم تخشاه الخيول!!).

قال الشيخ سياف: (والله لقد تصاغرت أمام جرأة الشيخ تميم واصراره).

إن الطريق إلى قمة الجبل لايكاد يزيد عرضه عن قدم وأي انزلاق للحصان إنما يعني أن يهوي مع الشيخ تميم إلى قعر الوادي وبينما نحن في الطريق إلى القمة جاءنا من يصيح سقط الشيخ تميم عن الحصان.

قال الشيخ سياف: (فقلت في نفسي حسبنا الله ونعم الوكيل أنى لنا الآن بوسائل لانقاذ جثة الشيخ تميم من قرارة الوادي لدفنها؟ فعدت لأجد كمية من التراب قد ساقها الله لتحمي الشيخ تميم من أن يهوي في هذا الفج العميق) .

ويصر الشيخ تميم مرة أخرى أن يمتطي ظهر الجواد والليل قد أرخى سدوله ويسير الحصان صاعدا بزفراته اللاهثة ويمر الحصان من تحت جذع شجرة منخفض ليأخذ بعنق الشيخ تميم ويلقيه خلف الحصان ، فيمسك الشيخ تميم بالحصان فيسقط الحصان فوق صدره فيدفعه بكلتا يديه عن عظام صدره ، ولكن يقضي الله أن تهشم ركبة الشيخ، وجاء النذير صائحا مرة اخرى إلى الشيخ سياف والشيخ رباني فيرجع الشيخان ، ولدى رؤية الشيخ رباني للشيخ تميم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال مازحا : (هذا

جزاؤك كنت تريد أن تجلس على كثير من الناس فأجلس الله عليك الحصان).

عم أتحدث عن شجاعتك؟ ومواقفك أمام أهل الدنيا:

كم مرة سمعتك تقول: والله لا أخاف أحدا في الدنيا الا الله.

لا أنسى لك موقفك يوم أن جمعت مليون دولار في بلدة من البلدان فطلبها المسؤولون منك فأجبت: (والله لو قطعتموني إربا إربا ما أخذتم دولارا واحدا إن أمنيتي الشهادة فاقتلوني وخذوها).

ولم تبق القضية طي فؤادك وإذا بك ترعد وتزبد فوق المنبر قائلا: (من أراد أن تثكله أمه أو يتيم أولاده أو يرم ل زوجته فليلحقني إلى المطار حيث اغادر إلى أفغانستان في يوم الأربعاء).

وقدم بالمليون دولار وسلمها إلى الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان آنذاك.

ولا أنسى لك وأنت بين أيدي الدوائر الأمنية في مطار القاهرة قبل شهرين فيسألونك أتعرف محمد شوقي الاسلامبولي؟ فيكون الجواب: (ومن ذا الذي لايعرف شقيق الشهيد البطل خالد الاسلامبولي؟).

فيسألونك عن أسماء بعض المصريين في أفغانستان فتغلظ لهم الأيمان أنك لوعرفت اسماءهم ما بحت باسم واحد.

ثم كانت الجرأة التي تطلب فيها من مخابرات مصر أن يسمحوا لكم باعطاء محاضرات عن الجهاد الافغاني فيفغرون افواهم استغرابا لهذه الجرأة عليهم، ثم تذهب إلى مسجد الشيخ المحلاوي في الاسكندرية وبعد صلاة الجمعة تبدأ بخطبتك وأنت تتفجر حماسا وتتدفق حيوية وتغلي كالمرجل وساعة ونصف وجماهير البشر تتدفق كانها أمواج البحار الزاخرة، وهي تصغي إليك كأن على رؤوسها الطير، ومالنا لانردد متغنين بشجاعتك قائلين:

أقل بلاء بالرزايا من القنا وأقدم بين الجحفلين من النبل
أعز بني الدنيا وليث إذا انبرى فإنك نصل والشدائد للنصل
مقيم مع الهيجاء في كل منزل كأنك من كل الصوارم في أهل

وماذا عساها تغني هذه الأسطر عما يجول في الأعماق من الخواطر ومايكنه لك الصدر من المشاعر.

قلب سليم، وفطرة صافية لم يدنسها طمع الدنيا، لم تلوثها التواءات الحضارة، مشرقة كالسجنجل (المرآة) بيضاء كاللجين (الفضة).

أقول عنك: فطرة صافية كأنها فطرة طفل في الثالثة من عمره، ونفس تتفجر حماسا كأنها العشرين من عمره، وسخاء أصيل لايعرف رد قانع ولامعتر فيعطي عطاء من لايخشى الفقر، وصراحة صادقة، وعزم لايعرف الوهن، وأمال لايتطرق إليها يأس وهمة تناطح المزن وتطاول عنان السماء، وتباري ماء المعصرات طهرا وصفاء.

معرفتي بالشيخ تميم:

عرفني الشيخ تميم من خلال الجهاد وما أوثق عرى المحبة التي تبنى أواصرها فوق أرض النار المضطرمة، حيث تستعد النفوس للموت فتكون قريبة من فاطرها تستشرف للقاء بارئها .

عرفته سنة 2891م زارني في بيتي في صويلح / الأردن في العطلة الصيفية ثم توثقت الوشائج من خلال هذا الجهاد المبارك الذي شملت بركاته وآثاره معظم مناحي حياة الأفراد والأمم التي تعيش في العالم الاسلامي، وفي سنة 1407ه تفرغ الشيخ تميم للجهاد تماما.

الرباط:

وإن أنسي من الاشياء لا أنسى ذلك الرباط الذي امتد قرابة السنة بين ثلوج مأسدة الانصار، صابرا محتسبا بين شباب في سن ابنه، وهو يميل إلى الاندفاع الذي تتسم به شخصية الشيخ تميم من خلال عاطفة جياشة وحرقة تأكل

قلبه وكبده على جراحات المسلمين وآلامهم، وصدر يغلي كالمرجل ونفس متطلعة إلى الشهادة بأي طريق .

وما رأيت رجلا في سن الشيخ تميم، مثله، ومارأيت حديث الرسول ص في طلب الشهادة تمثلت في إنسان كما هو في الشيخ تميم: (من خير معاش المرء رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار اليها يبتغي الموت مظانه)، رحلاته إلى قطر وأمريكا خاصة والسعودية والاردن: وأي شاب من أبناء الصحوة الاسلامية في هذه الاقطار لايعرف أبا ياسر؟!

رحلته الاخيرة:

طوف فيها بمجموعة من الاقطار يتحدث عن الجهاد الافغاني وليس لديه قضية سواها فقد ملكت عليه القضية أحاسيسه ومشاعره ونفسه وأعصابه.

فذهب ليفتتح معرضا في نيجريا عن الجهاد الافغاني وألقى محاضرات باللغة الانجليزية إذ أنه يجيد الانجليزية واصبح الشيخ تميم حديث الشارع إذ أن الصحف والتلفاز كلها بثت محاضرات الشيخ.

ثم من نيجريا إلى مصر وجرى ماجرى مع أجهزة الأمن ثم اليمن وهناك مرض بالملاريا التي اقعدته عن اتمام جولته في القاء المحاضرات، ثم إلى قطر. وهناك قرر الشيخ أن يسافر إلى تشيكوسلوفاكيا لتخفيف وزنه فاتصل بي يستأذنني أن يسافر ثلاثة أشهر هناك حتى يرجع لخوض المعارك فأشرت عليه أن يذهب إلى أمريكا حيث يأنس بالشباب المسلم الذين تعج بهم هناك فلا تستوحش لكثرة من يلتفون حولك من الشباب الذين يتسابقون لخدمتك.

رحلة الخلود:

وكانت السفرة الخاتمة التي كانت فيها رحلة الخلود، وفي السابع عشر من من ربيع الاول سنة 1410ه الموافق 18/10/1989م أصابته النوبة القلبية فيأورلاندو / فلوريدا بعد سلسلة محاضرات اخترمته المنية قبل أن يتمها.

الشيخ تميم والشهادة:

لقد كانت الامنية الكبرى التي تداعب احلام الشيخ تميم أن يختم الله له بالشهادة فما كانت الشهادة تفارق مخيلته ولقد ورد في الحديث الصحيح: (من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو مات على فراشه).

ونحن ندعو الله عزوجل أن يكون قد تقبله شهيدا، فقد: هاجر الشيخ تميم ورابط وقاتل وحرض وأعد وتدرب وطوف في الارض يحرض المؤمنين على البذل في سبيل الله وعلى النفير إلى أرض الجهاد.

والاحاديث التي تبشر بقبول المهاجر الشهيد مهما كانت طريقة وفاته كثيرة منها:

حديث فضالة بن عبيد: روى ابن كثير في التفسير 3/201 عن طريق عبد الرحمن بن شريح عن سلامان بن عامر ان عبد الرحمن بن جحدم حدثه : أنه حضر فضالة بن عبيد في البحر مع جنازتين أحدهما أصيب بمنجنيق والاخر توفي فجلس فضالة عند قبر المتوفي فقيل له: تركت الشهيد فلم تجلس عنده فقال: ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت، ان الله تبارك وتعالى يقول: { والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم }.

وكذلك روى هذا الحديث ابن المبارك في كتاب الجهاد فقرة 96 ص 2، وكذلك رواه ابن ابي حاتم وروى ابن جرير بنحوه.

اتفاق المنزلة مع اختلاف الميتة :

عن مالك بن هدم انه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: ماترون في نفر ثلاثة اسلموا جميعا وهاجروا جميعا، لم يحدثوا في الاسلام حدثا قتل احدهم الطاعون وقتل الاخر البطن، وقتل الاخر شهيدا، قالوا الشهيد افضلهم، فقال عمر والذي نفسي بيده، انهم لرفقاء في الاخرة كما كانوا رفقاء في الدنيا) رواه سعيد بن منصور في سننه الجزء الثاني برقم (2844).

المهاجر له الجنة مهما كانت منيته:

(من فصل في سـبيل اللـه فمـات أو قتـل أو وقصـته فرسه أو بعيره أو لـدغته هامـة او مـات علـى فراشـه بـأي حتف شاء الله فانه شهيد وان له الجنة) ابـو داود والحـاكم عن ابن مالك الاشعر يحسن .

وختاما اقول:

لم تكن ايامـك طويلـة بيننـا يـاابن السـابعة والاربعيـن ولـم أصـب بمثلـك قـط، ولقـد كـان فراقـك ثقيلاً علـى نفوسـنا ولكأنما قطعت يميني واردد الان بمرارة:

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام

جرحت مجرحا لم يبق فيه مكان للسيوف أو السهام

فآمل من الله - عز وجل - أن يتقبله شهيدا وأن يجمعنا في الفردوس الاعلى أمين.أمين.

وختاما نبثك اشجاننا من خلال الابيات التي قالها فيك والدك الشاعر محمد العدناني:

أحن الى عناقك يا تميم حنينا قد روى عنه النسيم

يهيمن مثله في كهف صدري وينزع أصغري ولا يريم

فباسمك يهتف القلب المعنى وحولك روحي الظما تحوم

تنادي يا تميم فلا مجيب به تشفى الي كي تجلو الهموم

يحدث عنك مايحيي الاماني ويبرأ من بشائرها السقيم

فاني يامنى ابن الصدر دوما على وجدي وتحناني مقيم

حباك الله سعدا مثل يم وتحقيق الاماني يا تميم

تم تنـزيل هذه المادة من منبر التوحيد والجهاد

http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.com
http://www.alsunnah.info